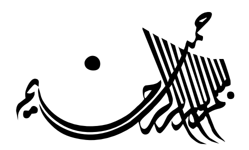


الزيارة تعهد والتزام
ودعاء في مشاهد المطهرين



الربيعي، جميل.
الزيـارة تعهـد والتـزام ودعـاء فـي مـشاهد المطهـرين / بقلـم جميـل الربيعـي. - كـربلاء:
العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩ق. = ٢٠٠٨م.
ص٦٣. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٣).
المصادر في الحاشية.
١. الزيارات - آداب ورسوم. ألف. عنوان.
٩ ز / ٢ ر / ٢٧١ BP
مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الزيارة

تعهد والتزام ودعاء
في مشاهد المطهرين

بقلم

الشيخ جميل الربيعي

إ ص دا ر
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
١٤٢٩هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة- قسم الشؤون الفكرية والثقافية
هاتف: ٣٢٦٤٩٩
Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة القسم

الحمد لله الذي يسير لنا الخدمة في المجال الفكري والثقافي لنرفد الساحة الثقافية بعلوم أهل البيت عليهم السلام والصلاة والسلام على مصابيح الهدى وسفن النجاة محمد وآله الأطهار.

مساهمة من قسم الشؤون الفكرية والثقافية في نشر العلوم الإسلامية والثقافة الحسينية، واستقطاباً للأقلام المؤمنة الموالية بادر قسمنا إلى نشر هذا الكراس الصغير بحجمه والكبير بمضمونه ليفتح نافذة على عظمة أهل بيت العصمة عليهم السلام ومهبط الوحي ومعدن العلم، ولكي يتيسر لمن يطلع على هذا الكراس الانتفاع منه في زيارته لأهل البيت عليهم السلام.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

«السلام عليك يا أبا عبدالله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا ابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، السلام عليك يا أبا الأئمة الهادين المهديين، السلام عليك يا صريع الدمعة الساكبة، السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة، السلام عليك وعلى جدك وأبيك، السلام عليك وعلى أمك وأخيك، السلام عليك وعلى الأئمة من ذريتك، وبنيك أشهد أنك لقد طيب الله بك التراب، وأوضح بك الكتاب، وجعلك وأباك وجدك وأخاك وبنيك عبرة لأولي الألباب، يا ابن الميامين الأطياب التالين الكتاب، وجهت سلامي إليك، صلوات الله وسلامه عليك، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليك، ما خاب من تمسك بك ولجأ إليك».

قال الإمام الرضا عليه السلام :

«**إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد، وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة**»[1].

---

(١) ثقة الإسلام الكليني، الفروع من الكافي: ٤/٥٦٧، كامل الزيارات: ٢٣٧. علل الشرايع: ٢/٤٥٩. عيون أخبار الرضا: ١/٢٩٢. من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٧٧. تهذيب الأحكام: ٦/٧٩.

مشروعية الزيارة

لقد تواترت الأحاديث والروايات في استحباب زيارة قبور الرسل والأنبياء وأوصيائهم ﭺ لاسيما قبر خاتم الرسل ﷺ، وقبور آله الطاهرين، وثبت بالطرق الصحيحة أن الرسول الأكرم ﷺ كان يزور البقيع، وشهداء أحد، وعلى هداه سار أهل بيته وأصحابه المخلصين، بل يكاد هذا الأمر أن يكون مجمعاً عليه عند جميع المسلمين، ولم يشذ عن ذلك إلا ابن تيمية، ومن سار على نهج الوهابية، فقد روى بن سعد في الطبقات بسنده إلى بن أبي مليكة قال: «رحت من منزلي، وأنا أريد منزل عائشة فتلقتني على حمار فسألت بعض من كان معها، قال: زارت قبر أخيها عبدالرحمن»[1].

وعلق شيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي، فقال: «ومقصودنا أن زيارة ما عدا قبر النبي مما يثاب الشخص على

(١) شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ١٩٤.

فعله، وقد يتأكد بحسب بعض الأحوال فزيارة القريب آكد من غيره، وتَطَلِب لمعنى فيه مختص به؛ وهو القرابة، وزيارة غير القريب أيضاً مستحبة للاعتبار؛ والترحم، والدعاء، وذلك في كل المسلمين»[1].

ثم قال: «وإذا زار قبراً معيّناً، يكون مؤدياً للسنة بما تضمنه من زيارة جنس القبور، ولا نقول: إن زيارة ذلك القبر المعيّن بخصوصه سُنّة، حتى يرد فيها فضل خاص، أو نعرف صلاحه فإن زيارة جميع الصالحين قربة كما يقولون: إن الصلاة في المسجد مطلوبة، ولا نقول الصلاة في مسجد بعينه مطلوبة، إلا في الثلاثة التي شهد الشرع بها، ويقوم ما هو الأفضل منها كالمسجد الحرام عن غيره»[2].

وقد جاء في استحباب زيارة القبور أحاديث كثيرة عن طريق أهل السنة فضلاً عما ورد في كتب الشيعة، ونحن نذكر بعضاً من تلك الأحاديث على ما جاء في كتب أهل السنة لإبطال مبتدعات الوهابية الضالة الذين كفّروا كل من يزور القبور، ورموا من يزور

(١) شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

قبر رسول الله ﷺ بالشرك فضلاً عمن يزور القبور الأخرى مخالفة لما روي في السنة المطهرة، واليك ما روي عن عائشة أنها قالت: «كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول:

السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[1].

وقال النووي: «ويستحب للرجال زيارة القبور لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى مَن حوله... ثم قال:

فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت والمستحب أن يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.

ويدعو لهم لما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: كان يخرج إلى البقيع، فيقول:

السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»[2].

(١) النووي، شرح صحيح مسلم: ٤١/٧.

(٢) محيي الدين النووي، المجموع: ٣٠٩/٥.

ومن حديث طويل عن عائشة أيضاً، قالت: قال ﷺ:

«فإن جبريل آتاني حين رأيت فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك... فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم...»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»[2].

وعن عائشة: «إن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور»[3].

وفي حديث آخر:

«إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها تذكركم الآخرة»[4].

وعن ثوبان: إن رسول الله ﷺ قال:

«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم، واستغفاراً لهم»[5].

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم: ٤٤.

(٢) سنن ابن ماجة: ٥٠٠/١، باب ما جاء في زيارة أهل القبور.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد: ٥٨/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٥٩.

وهذا غيض من فيض من الأحاديث الواردة في هذا الباب إضافة إلى ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويؤكد المؤرخون والمحدثون: أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تزور قبر عمها حمزة ترمه، وتصلحه وقد تَعْلِمَنَهُ بحجر[1]. فقد روي الحاكم عن علي عليه السلام أن:

«فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي عنده وتبكي»[2].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أن:

«فاطمة عليها السلام كانت تزور قبور الشهداء رضي الله عنهم بين اليومين والثلاثة فتصلي هناك، وتدعو وتبكي حتى ماتت»[3].

إذن كل هذه الأحاديث، والسيرة العملية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدل دلالة واضحة أن زيارة القبور بصورة عامة عمل مستحب ومشروع، ولا غبار عليه، خلافاً لما أفتى به ابن تيمية الذي خالف جميع المسلمين.

---

(١) ابن أبي شيبة، وفاء الوفا: ٢/١١٢.

(٢) د. محمد بيومي مهران، السيدة فاطمة الزهراء: ١٣٤.

(٣) المصدر نفسه.

وقد أورد السبكي خمسة عشر حديثاً استدل بها على مشروعية زيارة قبر الرسول ﷺ وأبطل بها مبتدعات ابن تيمية بعد أن حقق أسانيدها، ونحن نذكر هذه الأحاديث ففيها الكفاية في دحض مفتريات ابن تيمية، قال ﷺ:

١. «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[١].

٢. «**من زار قبري حلت له شفاعتي**»[٢].

٣. «**من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**»[٣].

٤. «**من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**»[٤].

٥. «**من حج البيت، ولم يزرني فقد جفاني**»[٥].

---

(١) رواه الدار قطني والبيهقي وغيرهما، راجع تحقيق السند في شفاء السقام: ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) رواه الإمام أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز في مسنده، راجع شفاء السقام: ٨١.

(٣) رواه الدار قطني في أماليه والطبراني في معجمه الكبير: ١٢/٢٩١، ١٣١٤٩.

(٤) رواه الدار قطني في سننه ورواه غيره أيضاً.

(٥) رواه ابن عدي في الكامل: ٧/٢٤٨٠.

٦. «مـن زار قبـري أو (مـن زارنـي) كنـت شـفيعاً لـه أو (شهيداً)»[١].

٧. «من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة»[٢].

٨. «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»[٣].

٩. «من حج حجة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة وصلّى عليّ في بيت المقدس، لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه»[٤].

١٠. «من زارني بعد موتي فكأنّما زارني وأنا حي»[٥].

١١. «من زارني في المدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً».

وفي رواية:

«من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة»[٦].

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي: ١/١٢، وأنظر منحة المعبود: ١/٢٢٨.

(٢) رواه أبو جعفر العقيلي: ٤/٣٦١، ١٩٧٣.

(٣) في تلخيص الحبير: ٧/٤١٥. ورواه الدار قطني، وفي طريق آخر بلفظ (وفاتي) بدل (موتي).

(٤) رواه الحافظ أبو الفتوح اليعقوبي في الجزء الثاني من فوائده.

(٥) رواه أبو الفتوح سعيد بن محمد بن إسماعيل اليعقوبي في جزء له فيه فوائد.

(٦) راجع تفصيل سند الحديث في شفاء السقام: ١١٠ ـ ١١٢.

١٢ . **«ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر»**.

وعن أنس :

«من زارني ميتاً فكأنّما زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من أحد من أمتي له سعة، ثم لم يزرني فليس له عذر»[١].

١٣ . **«من زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً» أو قال: «شفيعا»**[٢].

١٤ . **«من لم يزر قبري فقد جفاني»**[٣].

١٥ . **«من أتى المدينة زائراً لي، وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً»**[٤].

هذه الأحاديث قد رواها السبكي في شفاء السقام، وحققها سنداً، واستدل بها متناً على مشروعية زيارة الرسول الأكرم ﷺ وقد رويت معظم هذه الأحاديث عن طرق أهل البيت عليهم السلام مع اختلاف طفيف في متونها، ونذكر بعضها تأييداً وتيمناً بها.

(١) المصدر نفسه: ١١٢.

(٢) راجع تفصيل سند الحديث في شفاء السقام: ١١٢.

(٣) شفاء السقام: ١١٤.

(٤) لاحظ وفاء الوفى للسمهودي: ١٣٤٨/٤. والدرة الثمينة: ٣٩٧. ورفع المنارة للممدوح المحمود: ٣٢٧ ـ ٣٢٩.

أولاً: عن هارون عن ابن صدقة، عن الصادق أن النبي ﷺ قال:

«من زارني حياً وميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة»[1].

ثانياً: عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أتى مكة حاجاً، ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن جاءني زائراً، وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي، وجبت له الجنة»[2].

ثالثاً: وقال رسول الله ﷺ:

«من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»[3].

رابعاً: وعنه ﷺ:

«من زارني في حياتي، وبعد موتي كان في جواري يوم القيامة»[4].

خامساً: وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي، وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة»[5].

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٠/١٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٤٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٣.

(٥) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٠/١٤٣.

والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد ذكر صاحب البحار سبعاً وثلاثين حديثاً إضافة إلى أحاديث أخرى فيما يجب أن يعمل في مسجد الرسول ﷺ وبيان ثوابه وإعطائه بُعداً تربوياً وفكرياً وروحياً وأخلاقياً.

حكمة زيارة القبور

لم تكن زيارة القبور مجرد تسلية للنفس، أو قضاء للوقت، وإنما هي عملية تربوية يتذكر فيها الإنسان الذين عايشهم، وكانوا معه يأكلون ويشربون ويعملون... والآن هم تحت الجنادل تأكل لحومهم ديدان الأرض.

وبهذا التفكير يعمّق الإنسان إيمانه بيوم الدين، ويركز الخوف من الله في نفسه، ويلقنّها دروساً تربوية رائعة، ويوحي لها بالفناء والرحيل عن هذه الدنيا، فيا له من درس عميق الدلالة! وهذا ما كان رسول الله ﷺ يفعله فتراه يخرج آخر الليل إلى البقيع ويقول:

«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غداً، مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[1].

(١) النووي، شرح صحيح مسلم: ٤٤/٧.

فالزيارة تعبر عن طريقة تربوية إيجابية للنفس، لتحد من طموحها الدنيوي وطول أملها إذن لم تكن زيارة القبور عملية عبثية، ولا المقصود منها عبادة الموتى كما صورتها الوهابية الضالة، وإنما هي عملية وعظ للنفس، وتطهير لها من الطمع والجشع وطول الأمل، وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة.

والحكمة الأخرى لزيارة القبور هي: التواصل الإنساني مع الميت، وفاء لبعض حقوقه حيث انقطعت علاقته بالدنيا فينبغي لمحبيه وعارفيه الدعاء والترحم، والاستغفار له كما ثبت عن رسول الله ﷺ في زيارته لأهل البقيع قال السبكي: «وهذا مستحب في حق كل ميت»[1].

فقد روى بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام»[2].

كما أن الزيارة لقبر الميت رحمة له، ورقّة وتأنيساً له، فقد روي عن النبي ﷺ انه قال:

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ١٩١.

(٢) المصدر نفسه.

«آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبّه في دار الدنيا»[1].

ومن حكمة الزيارة للقبور لاسيما الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم استلهام الدروس والعبر من حياتهم الشريفة، يقول تعالى:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

فالإنسان المؤمن الواعي الكادح إلى الله عندما يقف أمام قبور العظماء يستعيد في ذهنه سيرة هذا العظيم، ويستلهم من حياته الصبر على مواصلة السير والسلوك إلى الله.

ولعل أهم ما في زيارة القبور هو هذا الدرس العظيم حيث يقتدي بهم، ويتأسى بسيرتهم، وبهذا أمرنا الله تعالى بقوله:

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١١١.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ... ۞ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾[1].

وقال لنبيه ﷺ بعد أن ذكر عدداً من الأنبياء والمرسلين:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

ولا شك أن المؤمن عندما يقف على قبر رسول الله ﷺ أو قبر أي نبي، أو وصي نبي يستحضر تعاليمه، وهداه وهذا أكثر تأثيراً في النفس مما لو كان تصوراً مجرداً بعيداً عنه فالاستغفار عند ضرائحهم، والدعاء فيها، يولد الرقة ويفيض الدمعة، ويرسّخ العبرة، وما أجمل ما استدل به السبكي على شرعية زيارة قبر الرسول ﷺ من قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[3].

---

(١) سورة الممتحنة، الآيتان: ٤ و٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤.

يقول: «دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده، واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة، فهي رتبة له ﷺ لا تنقطع بموته تعظيماً له.

فان قلت: المجيء إليه في حال الحياة؛ ليستغفر لهم، وبعد الموت ليس كذلك؟

قلت: دلت الآية على تعليق وجدانهم الله تعالى توّاباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول.

فأما استغفار الرسول: فإنه حاصل لجميع المؤمنين؛ لأن رسول الله ﷺ استغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات؛ لقوله تعالى:

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1].

ولهذا قال عاصم بن سليمان ـ وهو تابعي ـ لعبد الله بن سرجس الصحابي رضي الله عنه: استغفر لك رسول الله ﷺ؟

فقال: نعم، ولك، ثم تلا هذه الآية»[2].

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) صحيح مسلم: ٨٦/٧. كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، وانظر الشمائل للترمذي: ٢٢.

فقد ثبت أحد الأمور الثلاثة؛ وهو استغفار رسول الله ﷺ لكل مؤمن ومؤمنة فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملة الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته... فقد ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية حاصلة لمن يجيء إليه ﷺ مستغفراً في حياته، وبعد مماته»[1].

وتواصل الحث والتأكيد حتى أصبحت الزيارات شعاراً من شعارات الشيعة ووسيلة يتقربون بها إلى الله تعالى فلم تكن الزيارة للتسلية والترفيه، وليست عملاً دنيوياً بل هي عبادة روحية وبدنية يراد بها التقرب إلى الله تعالى بتكريم عباده الصالحين كما أنها لم تكن مجرد تكريم لإنسان ميت، وإنما هي عمل عبادي خالص لله تبارك وتعالى ذات أبعاد تربوية، وعقائدية، وفكرية تبني شخصية الزائر، وتشده إلى مسيرة المزور وعقيدته.

(١) السبكي شفاء السقام في زيارة خيرة الأنام: ١٨١ ـ ١٨٢.

فوائد رسالية اجتماعية

من كل ما تقدم يمكننا أن نذكر بعض فوائد الزيارة وهي:

١. تجديد الصلة بالإسلام من خلال الإقرار بعهود يلزم الإنسان بها نفسه أمام روح المزور الذي يعتقد قدسيته، ورد في مقطع من زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام:

«وأشهد الله تبارك وتعالى - وكفى بالله شهيداً - أني بكم مؤمن، ولكم تابع في ذات نفسي، وشرائع ديني، وخواتيم عملي، ومنقلبي ومثواي».

ونحن نرى في هذا إقرار وتعهد بالتزام أمام الله تعالى، والإيمان والاتباع والسير على نهج الأئمة الطاهرين، فالزيارة تعهد، والتزام، بل إلزام الزائر لنفسه بأمور يفرضها عليها، ويلقنها بها، ويوحي لها بوجوب الالتزام بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه.

٢. الزيارة تأكيد للميثاق الإلهي، والتعهد في التمسك والحفاظ على دينه والسير على نهجه، ورد في مقطع من الزيارة:

«اللهم اجعلني في مقامي هذا ممن تناله منك صلوات ورحمة ومغفرة، اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد ومماتي ممات محمد وآل محمد... اللهم إني أشهدك بالولاية لمن واليت ووالته رسلك، وأشهد بالبراءة ممن برئت منه، وبرئت منه رسلك».

وهنا دلالة أخرى على أن الزيارة عقد وميثاق مع الله تبارك وتعالى بالولاية لأوليائه، والبراءة من أعدائه، والولاية لأولياء الله تعالى، والبراءة من أعداء الله عصب الحياة الرسالية، وقطب رحى التوحيد.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ﴾[1].

٣ . تحولت الزيارة وفق توجيهات الأئمة الطاهرين عليهم السلام وتأكيداتهم على شيعتهم بالتحلي بأخلاقهم، والحضور عند ضرائحهم، وتلاوة نصوص الزيارات التي أنشؤها هم إلى محطات هداية روحية، وسياسية، واجتماعية تبث الوعي الفكري والبناء الروحي، وهذه المحطات مفتوحة الأبواب على طيلة أيام السنة تغذي الزائرين بالعزم، والإرادة والبصيرة النيرة.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

٤ . إن الزيارة تسلط الأضواء على الجهود التي بذلها المزور على مختلف الأصعدة، وبيان لعظمة الرسالة التي ضحى من أجلها، ودعوة صريحة للالتزام بما التزم به وإلى ما دعى إليه سواء كان في العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق؛ ولهذا تكرر المقطع التالي في مختلف الزيارات:

«أشهد أنك أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر وجاهد في الله حق جهاده».

وفي زيارة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

«وأشهد أنك قد بلغت عن الله ما حملك، وحفظت ما استودعك، وحلّلت حلال الله، وحرّمت حرام الله، وأقمت أحكام الله، وتلوت كتاب الله، وصبرت على الأذى في جنب الله، وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه آباؤك الطاهرون، وأجدادك الطيبون الأوصياء الهادون المهديون لم تؤثر عمى على هدى، ولم تمل من حق إلى باطل، واشهد أنك نصحت لله ولرسوله ولأمير المؤمنين، وانك أديت الأمانة، واجتنبت الخيانة، وأقمت الصلاة، وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وعبدت الله مخلصاً

مجتهداً محتسباً حتى أتاك اليقين فجزاك الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء، وأشرف الجزاء».

وفي هذا النص شهادات ثلاثة في كل واحدة منها سلط فيها الضوء على جهود الإمام التي بذلها، لتبليغ أحكام الله، وحفظ رسالته تعالى من خلال التأكيد على عقائد الإسلام، وأحكامه وأخلاقه في موقف تنتاب الإنسان فيه الرقة والخشوع، والضراعة، والتوسل بالله تعالى، وفي مثل هذه المواقف لابد أن تترسخ تلك المفاهيم في النفس، وتتحول إلى قوة تحد بوجه أعداء الله تعالى.

كما نلاحظ أن النص لم يسلط الضوء على شخص الإمام ذاتاً، إنما سلطه على شخصية الإمام الرسالية من خلال بيان جهود الإمام في تبليغ رسالة الله وحفظها من يد المحرفين، وإقامة أحكام الله، وتلاوة كتابه، والصبر على الأذى في سبيله، والجهاد في الله حق جهاده، والاستمرار على نهج الهدى الذي سلكه آباؤه الطاهرون والتضحية لله، وأداء الأمانة، واجتناب الخيانة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإخلاص في عبادة الله... وهكذا تكون الزيارة إبراز وإظهار لما دعى إليه الإسلام من عقائد وأحكام، وأخلاق.

٥. ثم إن الزيارة تربط الإنسان بالمزور ومن خلاله توصله بخط الأنبياء، والمرسلين، وتشعره بأنه حلقة في سلسلة رتل الأنبياء والمرسلين، فهي عملية تواصل شعوري ووجداني بمسيرة الأنبياء والمرسلين والأئمة الأطهار.

«وبذلك يقرر الحقيقة... حقيقة الأصل الواحد، والنشأة الضاربة في أصول الزمان. ويضيف إليها لمحة لطيفة الوقع في حس المؤمن. وهو ينظر إلى سلفه في الطريق الممتدة من بعيد فإذا هم على التتابع هؤلاء الكرام: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ويستشعر أنه امتداد لهؤلاء الكرام، وأنه على دربهم يسير. إنه سيستروح السير في الطريق، مهما يجد فيه من شوك ونصب، وحرمان من أعراض كثيرة. وهو برفقة هذا الموكب الكريم على الله. الكريم على الكون كله منذ فجر التاريخ»[1].

وهذه الحقيقة نجدها ناصعة في الزيارة المعروفة بزيارة وارث للإمام الحسين عليه السلام:

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٧/ ٢٧٤.

«السلام عليك يا وارث علم الأنبياء، ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله... الخ».

وهكذا تكون الزيارة عملية تواصل شعوري ووجداني برسالة الله على طول خط التاريخ في مسيرة رسل الله تعالى ونصبهم شعورياً رموزاً، ونماذجاً للاقتداء، والاحتذاء، والتأسي بهم في المجالات كافة، وهذا معنى أكد عليه القرآن الكريم في عملية توجيه الرسول ﷺ وإعداده ومن هنا وردت الكثير من الآيات لحثه ﷺ على الصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، وعلى ذكرهم وتمثلهم الذهني من أجل الاقتداء بهم عملياً من قبيل قوله تعالى:

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(1).

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(2).

---

(1) سورة ص، الآية: ١٧.

(2) سورة ص، الآية: ٤١.

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾
إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ
ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾
هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾[1].

٦ . إن الزيارة ـ لاسيما زيارة الحسين عليه السلام ـ تشتمل على إدانة صريحة لكل المحتلين الطغاة والمنحرفين عن خط الإسلام في كل زمان ومكان، وهذا المعنى واضح في نصوص الزيارات الواردة عنهم عليهم السلام ، والتي يبرز فيها عنصر التولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله بشكل جلي صريح ففي زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرب يقول الزائر بعد السلام علي النبي:

«يا رسول الله إني أتقرب إلى الله بما يرضيك، وأبرء إلى الله مما يسخط، أنا موال لأوليائك، ومعاد لأعدائك»[2].

وفي زيارة الزهراء سيدة نساء العالمين صلوات الله عليها، وعلى أبيها وبعلها، وبنيها، يقول الزائر:

(١) سورة ص، الآيات: ٤٥ ـ ٤٩.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٧١/١٠٠.

«السلام عليكِ يا بنت نبي الله... أشهد الله ورسله وملائكته أنّي راض عمّن رضيت عنه، وساخط عمّن سخطت عليه، متبرّئ ممن تبرأت منه، موال لمن واليت، معاد لمن عاديت، مبغض لمن أبغضت، محب لمن أحببت، وكفى بالله شهيداً، وحسيباً، وجازياً، ومثيباً...»[1].

وفي زيارة أئمة البقيع عليهم السلام ينبغي للزائر أن يقول:

«وأنا اشهد الله خالقي وأشهد ملائكته وأنبيائه ورسله، وأشهدكم أني مؤمن بكم، مقر بفضلكم معتقد لإمامتكم، مؤمن بعصمتكم، خاضع لولايتكم، متقرب إلى الله سبحانه بحبكم وبالبراءة من أعدائكم»[2].

وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يقول الزائر:

«يا مولاي... أتيتك زائراً معترفاً بحقك، موالياً لمن واليت، عدواً لمن عاديت، سلماً لمن سالمك، حرباً لمن حاربك، متقرّباً بمحبتك، وولايتك إلى الله، والسلام عليك، وعلى ضجيعيك آدم ونوح ورحمة الله وبركاته»[3].

---

(١) المصدر نفسه: ١٩٥. والشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان: ٣١٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٩.

وفي زيارة الحسين عليه السلام ليلة القدر:

«**أشهد أن الذين خالفوك وحاربوك والذين خذلوك والذين قتلوك، ملعونون على لسان النبي الأمي، وقد خاب من افترى، لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين، وضاعف عليهم العذاب الأليم، أتيتك يا مولاي يا بن رسول الله زائراً عارفاً بحقك، موالياً لأوليائك معادياً لأعدائك، مستبصراً بالهدى الذي أنت عليه، عارفاً بضلالة من خالفك...**»[1].

وأصرح من ذلك ما ورد في زيارة عاشوراء والتي تمثل أصرح إدانة لكل قوى الطاغوت على طول خط التاريخ إلى يوم القيامة:

«**يا أبا عبدالله إني أتقرب إلى الله وإلى رسوله، وإلى أمير المؤمنين، وإلى فاطمة، وإلى الحسن وإليك بموالاتك وبالبراءة ممن قاتلك، ونصب لك الحرب وبالبراءة ممن أسس أساس الظلم والجور عليكم، وأبرء إلى الله، وإلى رسوله ممن أسس أساس ذلك وبنى عليه بنيانه، وجرى في ظلمه وجوره عليكم، وعلى أشياعكم، برئت إلى الله وإليكم منهم، وأتقرب إلى الله، ثم إليكم بموالاتكم وموالاة وليكم،**

(١) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان: ٤٤٤.

وبالبراءة من أعدائكم والناصبين لكم الحرب، وبالبراءة من أشياعهم وأتباعهم. إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم»[1].

ومن خلال هذه النصوص الواضحة الصريحة يتضح لنا أن الزيارة تحريك ثوري ضد قوى الطاغوت، وتحشيد لكل قوى الإيمان؛ لتقف سداً منيعاً في وجه امتداد قوى الكفر والشرك والنفاق وهكذا «كانت الزيارات يوماً في عهد الأئمة عليهم السلام مواصلة للثورة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام أو القضية التي حملها آباؤه وأبناؤه الطاهرون... وإصراراً على الاستمرار على النهج، وعلى الولاء للحق كانت (الزيارات) بيعاً وشراءً للأنفس والأموال في سبيل الله تعالى، وكانت تظاهرة وتعظيماً لشعائر الله في الأرض، واستهداء بمصابيح الهدى الزاهرة في ليل الانحراف الداجي، والأيام الصعبة السوداء، فليس على هذا من عجب أن رأينا زيارة سيد الشهداء عليه السلام تفضل في النصوص على الكثير من الأعمال والمستحبات الخطيرة»[2].

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٠١/٢٩٤.

(٢) الشهيد الشيخ حسين معن، نظرات حول الإعداد الروحي: ٢٦٧.

بناء على هذا الفهم تكون زيارة أهل البيت عليهم السلام عملية إعداد روحي، وبناء فكري، وترابط اجتماعي، وتصعيد ثوري... ؛ لتحد قوى الطاغوت، وبهذا نستطيع أن نفسر الحث المتواصل من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام لزيارة قبورهم وبالخصوص زيارة قبر الحسين عليه السلام واستنكارهم على شيعتهم إذا أحسوا منهم التقصير، أو التماهل عن زيارة الحسين عليه السلام، فعن سدير قال:

«قال لي أبو عبدالله:

يا سدير تزور قبر الحسين عليه السلام في كل يوم؟

قلت: لا.

قال: **ما أجفاكم؟**

قال: **تزوره في كل جمعة؟**

قلت: لا.

قال: **تزوره في كل شهر؟**

قلت: لا.

قال: **فتزور في كل سنة؟**

قلت: قد يكون ذلك.

قال: **يا سدير ما أجفاكم بالحسين عليه السلام أما علمت أن لله ألف ملك شعثاً غبراً يبكون ويرثون لا يفترون زواراً لقبر الحسين عليه السلام، وثوابهم لمن زاره»**[1].

وعن أبان بن تغلب قال: «قال لي جعفر بن محمد عليه السلام:

متى عهدك بقبر الحسين عليه السلام؟

قلت: لا والله يا بن رسول الله ما لي به عهد منذ حين.

قال: **سبحان ربي العظيم وبحمده، وأنت من رؤساء الشيعة تترك الحسين لا تزوره! من زاره الحسين كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحى عنه بكل خطوة سيئة، وغفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، يا أبان لقد قتل الحسين صلوات الله عليه، فهبط على قبره سبعون ألف ملك شعث غُبر يبكون عليه، وينوحون عليه إلى يوم القيامة»**[2].

وعن محمد بن مسلم في حديث طويل فقال:

«قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام:

هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟

قلت: نعم على خوف ووجل.

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٠١/٦.

(٢) المصدر نفسه: ٧.

فقال له: **ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه أمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، وزاره النبي ﷺ، ودعا له، وانقلب بنعمة من الله، وفضل لم يمسه سوء، واتبع رضوان الله»**[1].

فلو لم يكن لزيارة الحسين عليه السلام تأثير بالغ في النفوس، وتغير للواقع النفسي والاجتماعي لما كان كل هذا التأكيد على زيارته. كما أننا من خلال ذلك نستطيع أن نفسر الموقف المتشدد من قبل حكومات الطاغوت على امتداد الزمن على زوار الحسين عليه السلام من قتل وسجن، وتشريد، وقطع الأيدي، وفرض الضرائب على من يزور الحسين عليه السلام، ولما لم ينفع كل ذلك هدموا قبر الحسين عليه السلام وأجروا عليه الماء، بل حرثوا أرضه وزرعوها كما عمل هارون العباسي «فقد أمر بهدم القبر المطهر، وكرب موضعه، وقص شجرة السدر التي كانت بجوار القبر من جذورها، ومنع من إقامة المآتم والمناجاة سواء على القبر، أو في بيوت الشيعة.

---

(١) المصدر نفسه.

وفي سنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام ، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وان يمنع الناس من إتيانه فنادى (عامل صاحب الشرطة) بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق...»[١].

وفي العصر الحديث تعرض قبر الحسين عليه السلام إلى هجمات الوهابيين وحاولوا هدمه ففي سنة ١٢١٦ هـ «تعرضت كربلاء والحرم الحسيني لهجمة بربرية قامت بها الجماعة الوهابية بقيادة سعود بن عبد العزيز، الذي أستغل ذهاب معظم أهالي كربلاء إلى النجف الأشرف لزيارة ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير... فقد شقوا طريقهم إلى الأضرحة المقدسة وأخذوا يخربونها، فاقتلعت القُضب المعدنية والسياج ثم المرايا، ونهبت النفائس والحاجات الثمينة... والسجاد الفاخر والمعلقات الثمينة والأبواب المرصعة، وجميع ما وجد من هذا الضرب فسحبت إلى الخارج»[٢].

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ حوادث: ٢٣٦.

(٢) تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عبر التاريخ: ١٦٦.

فعلوا كل هذه الفضائع بعد أن هدموا قبور الأئمة الأربعة في البقيع، وإلى اليوم فهو هدف لهجوم الظالمين كان آخرها رميه بالمدافع الثقيلة من قبل الأوباش البعثيين سنة ١٩٩١م.

كل هذا؛ لأن الزائر للحسين عليه السلام عن إيمان، ووعي مجرد أن يدخل ضريحه المطهر فإنه يستلهم منه التحرر الثوري، والحماس الرسالي، وتتعبأ نفسه بالرفض لكل الطواغيت، لأن الحسين عليه السلام ثورة في قبره يبعث في النفوس العزة، والإباء، والثورة، والرفض لكل أشكال الطاغوت؛ ولهذا «نلاحظ من خلال بعض هذه النصوص أن من أهداف الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا تياراً اجتماعياً لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وكان هذا مرتبطاً بأهداف الثورة ونجاحها».

٧. تأكيد الشعور بالإئتمام والإقتداء: يقول الشهيد الشيخ حسين معن قدس سره: «ونلاحظ أيضاً أن زيارة المشاهد ليست فقط محاولة لخلق جو إيماني... وإنما هي أيضاً استشعار لوجود القدوة... وتمثل معانيها الخيرة في الفكر، والروح والسلوك في العطاء والجهاد، تأكيداً للشعور بالإئتمام والإقتداء»[1].

(١) الشيخ حسين معن، نظرات حول الإعداد الروحي: ٢٦٨.

فالمؤمن عندما يزور الرسول الأكرم ﷺ، أو أحد أهل بيته إنما يؤكد إيمانه بنهجه وإقتدائه بسيرته، وامتثاله لأمره، متقرباً بذلك لله تعالى، فقد ورد في مقطع من أحد زيارات الرسول الأكرم ﷺ:

«الحمد لله الذي وفقني للإيمان بك والتصديق بنبوتك، ومَنَّ عليَّ بطاعتك، واتباع ملتك، وجعلني من المحبين لدعوتك وهداني لمعرفتك، ومعرفة الأئمة من ذريتك»[1].

وفي مقطع آخر من زيارة أخرى لرسول الله ﷺ:

«السلام عليك يا حجة الله على الأولين والآخرين... تسليم عارف بحقك، معترف بالتقصير في قيامه بواجبك، غير منكر ما انتهى إليه من فضلك، موقن بالمزيدات من ربك مؤمن بالكتاب المنزل عليه، محلل حلالك، محرم حرامك... بأبي أنت وأمّي يا رسول الله زرتك عارفاً بحقك، مقراً بفضلك، مستبصراً بضلالة من خالفك وخالف أهل بيتك، عارفاً بالهدى الذي أنت عليه، بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي وولدي ومالي... الخ»[2].

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٧١/١٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٤.

وبهـذا تكـون الزيـارة تـدعيم لإيمـان الإنـسان بـالله تعـالى، وتصعيد لحركتـه في كدحـه إلى الله مـن خـلال شـعوره بالإتمـام، وإقتدائه بالرسول أو الإمام، وهذا هو أهم ما تُبنى به شخصية المؤمن.

٨ . يقول الـشيخ محمـد مهـدي شمـس الـدين ﷺ: «وقـد نـشأ بسبب هذه النصوص الخاصة بزيـارة الحسين عليه السلام، أو تلـك الـتي حـث فيهـا الأئمـة عليهم السلام علـى زيـارة الـنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو قبـور الأئمـة الآخـرين، أو غيرهـم مـن الـصالحين والـصالحات منـاخ ثقـافي اجتماعي شيعي بالنسبة إلى الزيـارة بوجـه عـام، وزيـارة الحسين عليه السلام بوجه خاص، كون تياراً بشرياً جارفاً يتعـاظم باسـتمرار مـن جميـع الأعمـار والأوطـان يـزور في جميـع الأوقـات، وفي جميـع الحالات»[1].

(١) الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشيعي: ٦٩.

متى تؤثر الزيارة
أثرها في نفس الزائر؟

لا يمكن أن تترك الزيارة أثرها إلا إذا توفرت في المؤمن الزائر شروط عديدة نذكر أهمها:

١ . الإيمان بدور المزور في قوة علاقته بالله جل جلاله، وكونه من عباده الصالحين، أو من أوليائه المخلصين، أو أنبيائه المرسلين، فإذا كانت الزيارة عن إيمان عميق، واعتقاد سليم، ويقين قاطع لا تردد فيه تركت في نفس الزائر أعمق الآثار الطيبة، حيث يرجع الزائر ونفسه طافحة بالنور، والبصيرة، والعزيمة والرجاء، خاضعاً خاشعاً متوسلا بالله جل جلاله قائلاً:

«**اللهم إني تعرضت لزيارة أوليائك رغبة في ثوابك، ورجاء لمغفرتك، وجزيل إحسانك، فأسألك أن تصلي على محمد وآله الطاهرين، وأن تجعل رزقي بهم داراً وعيشي بهم قاراً، وزيارتي بهم مقبولة، وحياتي بهم طيبة،**

وأدرجني إدراج المكرمين واجعلني ممن ينقلب من زيارة مشاهد أحبائك مفلحاً منجحاً قد استوجب غفران الذنوب والستر العيوب، وكشف الكروب، إنك أهل التقوى والمغفرة»[1].

وبعد زيارة عاشوراء يقول الزائر:

«انقلبت يا سيدي عنكما تائباً حامداً لله شاكراً راجياً للإجابة غير آيس ولا قانط»[2].

٢ . المعرفة الواعية المعمقة بدور المزور، ومعرفة أبعاد شخصيته الرسالية، وموقفه من الحياة الدنيا، وهذا الشرط هو الشرط الأساسي في تأثير الزيارة في نفس الزائر وبهذا وردت أحاديث كثيرة نذكر منها: فعن بن عباس قال: «دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسن على عاتقه والحسين على فخذه يلثمهما ويقبّلهما ويقول:

اللهم والي من والهما وعاد من عاداهما.

ثم قال: **يا ابن عباس كأني به وقد خضبت شيبته من دمه يدعو فلا يجاب ويستنصر فلا ينصر.**

(١) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان بعد زيارة العباس عليه السلام.

(٢) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان.

قلت: فمن يفعل ذلك يا رسول الله؟

قال: **شرار أمتي ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي.**

ثم قال: **يا ابن عباس من زاره عارفاً بحقه كتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة....»**[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«**من زار أمير المؤمنين عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد وغفر الله له....»**[2].

فعن الصادق عليه السلام قال:

«**من أتى الحسين عارفاً بحقه كتبه الله في أعلى العليين**» وفي رواية أخرى «**في عليين**»[3].

٣. تجاوز الجانب الذاتي إلى الجانب الرسالي: ونقصد بذلك أن يتوجه المؤمن في الزيارة لا لقضاء مصلحة شخصية ذاتية تتعلق به؛ وإنما يزور ليعمق إيمانه بالمُرْسِل والرسالة، والرسول، ولكن مع الأسف الشديد أن الجانب الذاتي في

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ٢٨٦/٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٦/٥٩.

(٣) المصدر نفسه: ٧٠/١٠٠.

الزيارة هو الغالب في معظم الزائرين كما نراه عند الأغلب من الناس. يروي العارف الطهراني عن شيخه السيد هاشم الحداد إنه كان يقول: «أرى الناس في جميع المشاهد المشرفة يلصقون أنفسهم بالضريح، ويضرعون باكين بالدعاء، فيقولون: أضف إلى خرق لباسنا المتهرئ ليصبح أثقل وليس هناك من يقول: خذ هذه الخرقة مني؛ ليخف كاهلي؛ وليصبح ردائي أبسط وألطف وأرق!»[1].

٤ . التخلق بخلق المزور ما لم يتخلق الزائر بأخلاق من يزوره، أو يحاول على الأقل أن يكتسب شيئاً من خلقه فلا تعد زيارته ذات جدوى... ولهذا ينبغي للزائر أن يقف على سيرة من يزوره من أولياء الله جل جلاله، أو أنبيائه ورسله، ليحاول أن يحيا حياته ويموت موته بالسير على هداه.

«**اللهم اجعلني في مقامي هذا ممن تناله منك صلوات ورحمة ومغفرة، اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد، ومماتي ممات محمد وآل محمد** صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

(١) محمد حسين الطهراني، الروح المجرد: ٢٦١.

(٢) ابن قولوية، كامل الزيارات.

٥ . أن يبذل جهده في تخليص نيته من كل شائبة غير التقرب لله تعالى، وتحصيل رضاه، وليحاول في جعل كل خطوة يخطوها، وكل كلمة ينطق بها خالصة لوجه الله وهذا الشرط من أهم الشروط التي تحقق للإنسان السمو والرفعة بالقرب من الله تعالى فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى وعلى هذا جاء التأكيد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام فعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«من زار قبر الحسين وهو يريد الله عز وجل، شيعه جبريل وميكائيل وإسرافيل حتى يرد إلى منزله»[١].

وقال عليه السلام:

«من زار قبر الحسين لله وفي الله أعتقه الله من النار، وآمنه يوم الفزع الأكبر، ولم يسأل الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاه»[٢].

٦ . رعاية الأدب في لقاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد خلفائه وأوصيائه في التواضع والاحترام، والخشوع، والحب، والشوق، فلقاؤه عند قبره كلقائه حياً؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٠١/٢٠.

(٢) المصدر نفسه.

«من زارني بعد وفاتي كمن زارني في حياتي»[1].

وفي حديث آخر:

«من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»[2].

وفي حديث ثالث:

«من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي»[3].

وعلى ضوء هذه الأحاديث المروية من طريقي السنة والشيعة يجب على الزائر لرسول الله ﷺ، أو أحد أهل بيته الطاهرين عليهم السلام أن يراعي أدب الزيارة واللقاء، امتثالاً لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4].

---

(١) المصدر نفسه: ١٠٠/١٤٣.

(٢) السبكي، شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ٨٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة الحجرات، الآيتان: ٢ ـ ٣.

أي «إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله تأدباً واحتراماً ومراعاة للجو الروحي الرفيع الذي يصنعه حضور رسول الله في المجلس وللموقع الذي يمثله الرسول في ساحة الرسالة مما يفرض على الحاضرين حوله أن يغضوا أصواتهم عند الحديث معه، أو مع بعضهم البعض؛ ليحصلوا على الاستيعاب الفكري والروحي لكلماته فيما يعظهم به أو يوجههم إليه، أو يخطط لهم من سبل، أو يفتح لهم من آفاق مما يحتاج إلى الكثير من الهدوء الذي يحتاجونه فيما يسمعون ويتعلمون، أو فيما يريد الآخرون من الحضور أن يستمعوا إليه، ويرتفعوا به ويتعلموه من كلامه»[1].

وقال العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسير قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[2].

(١) السيد محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن: ٢١/ ١٦٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٢.

«وذلك بأن تكون أصواتهم عند مخاطبته وتكليمه ﷺ ارفع من صوته وأجهر؛ لأن في ذلك كما قيل أحد شيئين: إما نوع استخفاف به وهو الكفر، وإما إساءة الأدب بالنسبة على مقامه، وهو خلاف التعظيم والتوقير المأمور به»[١].

فكما يجب التوقير له حياً يجب التأدب عند قبره؛ لأن زيارته ميتاً كزيارته حياً[٢] وما لم يدخل الإنسان خاشعاً متأدباً متأملاً في سيرته لا يمكن أن يحصل المرجو من زيارته ﷺ ولهذا «ينبغي للزائر أن يكون واقفاً وقت الزيارة كما هو الأليق بالأدب، فإذا طال فلا بأس متأدّباً جاثياً على ركبته، غاضاً لطرفه في مقام الهيبة والإجلال، فارغ القلب مستحضراً بقلبه جلالة موقفه وأنه ﷺ حي ناظر إليه ومطلع عليه»[٣].

وعند جمهور المسلمين «يتوجه إلى القبر الكريم مستعيناً بالله في رعاية الأدب في هذا الموقف العظيم فيقف متمثلاً صورته الكريمة

---

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٨/٣٠٨.

(٢) قال الشيخ المجلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ﴾، «الآية تومئ إلى إكرام الروضات... لما روي أن حرمتهم بعد موتهم كحرمتهم في حياتهم». بحار الأنوار: ١٠٠/١٢٥.

(٣) العلامة الأميني، الغدير: ٥/١٣٤.

في خياله بخشوع وخضوع تامين بين يديه ﷺ... عالم بحضوره وقيامه وزيارته، وأنه يبلغه سلامه وصلاته»[1].

والى هذا المعنى تشير بعض زيارات أئمة أهل البيت عليهم السلام:

«**وأشهد أنك تسمع الكلام وترد الجواب**»[2].

وفي نص آخر:

«**أشهد أنك تسمع كلامي وتشهد مقامي**»[3].

وفي نص آخر:

«**عارفاً عالماً أنك تسمع كلامي وترد سلامي**»[4].

وأما آداب الزيارة في مدرسة أهل البيت فقد ذكرها العلماء الأعلام في كتب الزيارات، ونحن نذكر ما كتبه الشهيد الأول رحمه الله في الدروس قال قدس سره: «وللزيارة آداب:

أحدها: الغسل قبل دخول المشهد، والكون على الطهارة، فلو أحدث أعاد الغسل، قاله المفيد رضي الله عنه وإتيانه بخضوع وخشوع في ثياب طاهرة.

---

(١) العلامة الأميني، الغدير: ٥/١٣٤.

(٢) مفاتيح الجنان: في زيارة الحسين عليه السلام ؛ ليلة النصف من رجب.

(٣) المصدر نفسه: بعد زيارة مولد أمير المؤمنين عليه السلام: ٣٧٨.

(٤) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٠/٢٩٥.

وثانيها: الوقوف على بابه والدعاء والاستئذان بالمأثور، فإن وجد خشوعاً ورقة دخل، وإلا فالأفضل له تحري زمان الرقة، لأن الغرض الأهم حضور القلب لتلقي الرحمة النازلة من الرب، فإذا دخل قدم رجله اليمنى، وإذا خرج فباليسرى.

وثالثها: الوقوف على الضريح ملاصقاً له أو غير ملاصق، وتوهم أن البعد أدب وهم، فقد نص على الاتكاء على الضريح وتقبيله.

ورابعها: استقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة، ثم يضع عليه خده الأيمن عند الفراغ من الزيارة ويدعو متضرعاً، ثم يضع عليه خده الأيسر ويدعو سائلاً من الله تعالى بحقه وبحق صاحب القبر أن يجعله من أهل شفاعته، ويبالغ في الدعاء والإلحاح، ثم ينصرف إلى ما يلي الرأس، ثم يستقبل القبلة ويدعو.

وخامسها: الزيارة بالمأثور، ويكفي السلام والحضور.

وسادسها: صلاة ركعتي الزيارة عند الفراغ، فإن كان زائراً للنبي ﷺ ففي الروضة وإن كان لأحد الأئمة عليهم السلام فعند رأسه، ولو صلاهما بمسجد المكان جاز... ولو استدبر القبر وصلى جاز، وإن كان غير مستحسن إلا مع البعد.

وسابعها: الدعاء بعد الركعتين بما نقل وإلا فبما سنح له في أمور دينه ودنياه وليعمم الدعاء فإنه أقرب إلى الإجابة.

وثامنها: تلاوة شيء من القرآن عند الضريح وإهداؤه إلى المزور، والمنتفع بذلك الزائر، وفيه تعظيم للمزور.

وتاسعها: إحضار القلب في جميع أحواله مهما استطاع، والتوبة من الذنب والاستغفار والإقلاع.

وعاشرها: أنه إذا انصرف من الزيارة إلى منزله استحب له العود إليها ما دام مقيماً، فإذا حان الخروج ودع ودعا بالمأثور، وسأل الله تعالى العود إليه.

وحادي عشرها: أن يكون الزائر بعد الزيارة خيراً منه قبلها، فإنها تحط الأوزار إذا صادفت القبول.

وثاني عشرها: تعجيل الخروج عند قضاء الوتر من الزيارة، لتعظيم الحرمة ويشتد الشوق، وروي أن الخارج يمشي القهقرى حتى يتوارى.

وثالث عشرها: الصدقة على المحاويج بتلك البقعة، فإن الصدقة مضاعفة هنالك وخصوصاً على الذرية الطاهرة كما تقدم بالمدينة.

ويستحب الزيارة في المواسم المشهورة قصداً، وقصد الإمام الرضا عليه السلام في رجب، فإنه من أفضل الأعمال»[١].

وقال العلامة المجلسي: «وأم تقبيل الأعتاب فلم نقف فيه على نص نعتد به»[٢].

والحمد لله رب العالمين الذي وفقنا لتحرير هذا القليل لخدمة الإسلام والمسلمين الذي تم في النجف الأشرف جوار سيد الأوصياء في التاسع من شعبان سنة ١٤٢٧ هـ.

نسأل الله تعالى أن يتقبله منا ويجعله ذخراً لنا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣].

(١) ابن إدريس الحلي، الدروس: ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٠/١٣٦.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ ـ ٨٩.

المحتويات

مقدمة القسم ٥
مشروعية الزيارة...٩
حكمة زيارة القبور......................................٢١
فوائد رسالية اجتماعية...................................٢٩
متى تؤثر الزيارة أثرها في نفس الزائر؟......................٤٩